

دور الشيخ سليمان الباروني في مواجهة الاستعمار الإيطالي

بقلم الدكتور/ عاشوري قمعون

جامعة الوادي- الجزائر-

ملخص البحث:

تتميز شخصية الزعيم الليبي سليمان بن عبد الله الباروني (1870-1940) بتعدد اتجاهاتها واهتماماتها. فهو رجل عالم، وفتية، ومؤلف، ومجاهد، وزعيم سياسي، وشاعر، وصحافي، وسيد بين أهله وعشيرته. ارتبط بعلاقات صداقة مع الكثير من العلماء الجزائريين، وراسل الشخصيات الدينية والزعماء السياسيين المسلمين، ملتصقا منهم يد العون والمساعدة في حربه ضد الطليان عام 1911، ومن بين هؤلاء: الشيخ محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف، رئيس الطريقة القادرية بكل من سوف وتقرت، وذلك حينما عين سليمان مندوباً للجهاد سنة 1915م.

مقدمة:

لقد افتتحت موضوع الدراسة بمقدمة، تناولت فيها أهمية البحث من حيث التعريف بالدور الذي لعبه البطل المغوار، الزعيم الليبي سليمان الباروني (1870-1940). لقد حمل لواء الجهاد ضد الطغاة المستعمرين الإيطاليين. وتميز بشخصية جديرة بالاعتبار، لأنها متعددة الأطوار. فالرجل عالم، وفتية، ومؤلف، ومجاهد، وشاعر، وزعيم سياسي، وصحافي، بالإضافة إلى كونه زعيم قبيلة، ومن عائلة البارونيين ذات المجد التليد في سلطنة عمان، وفي ليبيا ومصر. ولهذه العوامل، أضحت يتبوأ مكانة مرموقة في أوساط محبيه وعشيرته، وحتى في الجزائر التي درس فيها وارتبط بعلاقات مودة وصداقة مع الكثير من رجالها. هذه العلاقات هي التي دفعته إلى بعث رسائل للكثير من الشخصيات الدينية والزعماء

السياسيين المسلمين، طالبا منهم يد العون والمساعدة في حربه ضد الطليان. هذه الحرب التي يعتبرها جهادا مقدسا في مواجهة أهل الكفر والطغيان، الذين غزوا جزءا من أرض الخلافة الإسلامية عام 1911، فذبحوا أبناءها واستحيوا نساءها. وهكذا، فقد أرسل مبعوثه محملا برسالة إلى الشيخ محمد الهاشمي بن الشيخ إبراهيم الشريف، رئيس الطريقة القادرية بكل من سوف وتقرت، الواقعتين في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، ملتصبا منه الدعاء له بالنصر والمساعدة، حينما عين مندوباً للجهاد من قبل العثمانيين من جهة برقة إلى طرابلس سنة 1915م، غير أن المصادر المعاصرة لم تفصح عن فحوى هذه المساعدة. والإشكالية المطروحة على بساط البحث: ما هي هذه المساعدة؟ وما نوعها؟ وما مدى قدرتها على الاستجابة للطلب المقدم؟ لهذا سأحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه الإشكالية بعد التعريف بهذه الشخصية الفذة والمرموقة.

أما أهداف الدراسة فتمثل فيما يلي:

- معرفة دوافع تميز هذه الشخصية.
- نضاله المستميت في الدفاع عن قضية بلاده
- الاطلاع على موقف الشيخ محمد الهاشمي من جهاد الباروني.
- وقوف شعراء سوف مع أهل غريان في كفاحهم المسلح.
- معرفة مصير المجاهد سليمان الباروني بعد فشله في الجهاد.
- وقد طبقت في تناول هذا الموضوع المنهج الوصفي والتحليلي، واستقصاء العارفين الكبار لإبراز مضمون البحث. حيث عاجلت بالدراسة والتحليل دور الشيخ سليمان الباروني في مواجهة الاستعمار الإيطالي.
- وقد قسمت الدراسة إلى مجموعة من المطالب، تناولت فيها:
- القائد الفذ سليمان الباروني
- المناصب التي تقلدها
- علاقة العائلة البارونية بالجزائر
- انتفاضة أهل غريان

- تعاطف أهل سوف مع ثوار غريان
- موقف الشيخ الهاشمي الشريف من الثورة
- الجمهورية الأولى في الوطن العربي
- اعتزال الباروني السياسة ووفاته

1- القائد الفذ سليمان الباروني:

ولد سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني عام 1287هـ/1870م في مدينة جادو من أعمال جبل نفوسة الواقع إلى الجنوب من مدينة طرابلس بليبيا، من أسرة بربرية ذات جاه ونفوذ،⁽¹⁾ ولها فروع في جادو وكاباو وجربة. كان أبوه عبد الله الباروني متكلماً وفقهياً وشاعراً، تولى التدريس في مدرسة البخاخجة بالقرب من يفرن.⁽²⁾

وكان الباروني رجلاً متعدد الثقافات واللغات، إذ سافر إلى جامع الزيتونة بتونس عام 1305هـ/1887م، حيث تتلمذ على شيوخ فخام، من أبرزهم: سالم بوحاجب، والشيخ محمد النجار، ومحمد المكي بن عزوز، وعثمان المكي، ومحمد النخلي. وفي سنة 1310هـ/1892م سافر إلى القاهرة، حيث درس بالجامع الأزهر مدة ثلاث سنوات. وفي سنة 1313هـ/1895م شد الرحال إلى بني يسقن، من وادي ميزاب جنوب الجزائر، حيث جلس إلى قطب الأئمة الشيخ اطفيش الذي تعهده بالرعاية والعناية. وكان الشيخ اطفيش مرجع الإباضية في العلم الشرعي واللغوي. وقد توطدت علاقته برجال العلم وأعيان الفضل بغرداية، وأقام هناك حتى سنة 1316هـ/1897م. وقد واجهته المحن الشديدة منذ شبابه، فتوجه عام 1902 إلى يفرن، مركز الجبل الغربي، وبها أسس مدرسة سنة 1904م سماها المدرسة البارونية، وتولى الإشراف عليها والده الشيخ عبد الله الباروني، وكانت مدرسة نظامية تدرس العلوم الشرعية واللغوية. وأنشأ إلى جوارها المكتبة البارونية التي تزخر بنفائس الكتب والمخطوطات. وتابع في هذه الفترة تأليف كتاب "الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية". ولعل الباروني ضاق

ذرا بمضايقات السلطات الحاكمة التي ما فتئت تلاحقه، فعزم على السفر خارج البلاد متجهاً إلى مصر، وبالقاهرة وجد المجال فسيحاً للتأليف والطبع والنشر، والالتقاء بالعلماء. فأسس بها عام 1906م مطبعة سماها: مطبعة الأزهار البارونية، أخذ يطبع فيها ما يراه صالحاً من كتب الحديث والتاريخ والأدب. ولعل أهم إنجاز في هذه المرحلة هو إنشاؤه جريدة "الأسد الإسلامي" التي أرادها صوتاً مدوياً للمسلمين، تعرف بمواقعهم وتدعو إلى وحدتهم. (صدر منها ثلاثة أعداد فقط، ثم توقفت لأسباب سياسية ومادية. وصدر أول أعدادها في أبريل عام 1908م.⁽³⁾)

2- المناصب التي تقلدها الباروني:

عين الشيخ رسمياً في 24 جويلية 1907م عضواً في مجلس الأمة العثماني (مجلس المبعوثان) نائبا عن طرابلس الغرب، حينما كانت من بين ولايات الدولة العثمانية. كما عين عضواً في مجلس الأعيان العثماني، فلبث فيه مدة اثنتي عشرة سنة.⁽⁴⁾

ولما أعلن الدستور عقب ثورة حزب تركيا الفتاة، انتخب سليمان نائبا عن لواء الجبل، واستدعي إلى الآستانة التي درس فيها اللغة التركية لمدة شهرين، بذل فيهما جهداً عظيماً. وعندما ظهرت للعيان أطماع إيطاليا الفاشستية في ليبيا، عزم سليمان على الحصول على صفقات السلاح من حكومته. ولما نزل الإيطاليون طرابلس يوم 11 أكتوبر سنة 1911، كان الباروني من أنشط ثوار المقاومة العربية، التي جعلت تركيا تقرر الوقوف بثبات في وجه هذا العدوان. وظلت على موقفها حتى بعد توقيع معاهدة الصلح التركية الإيطالية في لوزان يوم 18 أكتوبر سنة 1912.⁽⁵⁾ واشتهت الحكومة العثمانية في سليمان، الذي اعتقدت أنه يغذي الآراء الانفصالية، ويعمل على ترويجها بهدف تأسيس إمارة إباحية، وأقيمت عليه الدعاوى، ولكن الأحكام التي صدرت في حقه لم تنفذ تنفيذاً كاملاً، لما أثارته من اضطرابات وخاصة في الجبل، وصدر العفو عنه. على أن السلطات العثمانية طلبت منه تقديم نفسه في الآستانة، ففر إلى القاهرة. ثم رجع إلى ليبيا، وقاد معارك الجهاد ضد الغزو الإيطالي.⁽⁶⁾

3- علاقة العائلة البارونية بالجزائر:

تعلم بأن الباروني قام بزيارة الجزائر خلال أعوام 1896-1899، حيث تعلم في بني يسقن بغرداية على يد الشيخ محمد بن يوسف أطفيش⁽⁷⁾ (1821-1914)، مما أتاح له التعرف على حياة بني ميزاب في مختلف القرى. كما تعمد زيارة مواقعهم التجارية والاقتصادية والثقافية في المدن الجزائرية الأخرى، واندماج مع السكان، فصار كأنه واحد منهم.

وقد جاء أحد علماء العائلة البارونية المصرية، وهو الشيخ محمد بن يوسف الباروني، الذي كابد العناء وتجشم الأخطار، وقطع الفيافي والأمصار، حتى وصل إلى بلدة قمار، فنزل عند قاضيها السيد العيد بن أحمد بن سعد، وتوسل به إلى القائم بأسرة الشيخ خليفة بن حسن⁽⁸⁾ من أحفاده، بأن يسمح له بالاطلاع على منظومته في متن الشيخ خليل في الفقه المالكي، فامتنع هذا من أن يشاهد الكتاب في غير بيته، لأنه رأى أن ظهور الكتاب وانتشاره، يبطل عليه احتكاره. فاهتدى الزائر إلى تدبير حيلة ذكية، وهي أن يستعير الكتاب لليلة واحدة بقصد النظر فيه للبركة، ودفع مقابل ذلك مالا كثيرا، وهياً له لوازم الكتابة وعدد الناسخين، ووزع عليهم تلك المنظومة، ليقوم كل منهم بتدوين ما طلب منه، وعليهم أن يرابطوا لإنهاء أعمالهم قبل الفجر. وبالفعل تمت المهمة، وأخذ الشيخ الباروني الوافد على بلدة قمار، النسخة كاملة، وقفل عائدا إلى بلاده. وما جاء عام 1318هـ/1900م، إلا والمنظومة مطبوعة بالمطبعة البارونية بمصر، ومذيلة بكلمة الناشر، ومسجلة الطبع محفوظة له. ولولا هذه الحيلة الرائعة، لضاع الكتاب مثلما ضاعت كنوز معارف كثيرة⁽⁹⁾.

وقام الباروني مرة أخرى عام 1325هـ/1907م بزيارة إلى الشيخ أطفيش، تقديرا وإجلالا لأستاذه الذي صار طاعنا في السن، ونوه بفضله وأثنى عليه بقصائد، ونشر بعض مؤلفاته في مصر. كما التقى بالشيخ إبراهيم أبي اليقظان⁽¹⁰⁾ (1888-1973) في بني يسقن بغرداية. وقد شجعه الباروني على إنشاء مطبعة عربية في الجزائر، وإصدار الصحف التي عطلتها فرنسا. كما زار

الجزائر العاصمة، وعنابة، وتبسة، وقلمة، وورقلة، والبليدة، والمدينة، والقليعة، وجبل زكار، وتلمسان، وقصر البخاري، والجلفة، والأغواط، وبريان، متجها نحو غرداية، كما تعرف على بعض رجالها وعلمائها. وقام أيضا بزيارة زاوية الهامل الرحمانية القاسمية ببوسعادة، رفقة أستاذه الشيخ أطقيش. وكان يرى أن أهل الجزائر يتصفون بغيره دينية عميقة، وبالتشدد في الحق، بيد أن الاستعمار قد كبلهم بسياسة التجهيل، فقل فيهم العلماء والمثقفون بعكس مصر وتونس. وعندما قام بزيارته ما قبل الأخيرة عام 1907م، لاحظ أن السكان بدؤوا يستيقظون على أصداء الحركة العلمية في تونس. وقد أتاحت له زيارته التعرف والاتصال بعلماء المناطق التي زارها.⁽¹¹⁾

4- انتفاضة أهل غريان:

كان لمدينة غريان دور الريادة في الجهاد، حيث تحتل موقعا استراتيجيا، لعب دورا كبيرا في الكفاح. وفي عام 1915، شهدت غريان ثورة شعبية ضد الطليان بعد معركة القرضابية في سرت التي انتصر فيها المجاهدون، والتي أدت إلى حدوث ثورات شعبية في مصراتة، وترهونة، وورقلة، ومسلاتة، والنواحي الأربعة، والعزيزية. ثم وصلت إلى مدينة غريان وباقي المدن الليبية الغربية، فأدت إلى إجلاء 4400 جندي إيطالي عن غريان. وكان لزعيم وجهائها "الهادي كعبار" دور ملحوظ في النضال المسلح، وهو أحد أعضاء الجمهورية الطرابلسية، وصادق رمضان السويحلي زعيم مصراتة.

وبعد نقض الطليان لصلح بنيادم في مصراتة، حاولوا دس المؤامرات في غريان، فأقاموا فتنة بينها وبين ترهونة انتهت بصلح بين الإخوة. وبعد حادثة الأسرى الذين قبض عليهم رمضان السويحلي في مصراتة، ردا على إخلال الطليان باتفاقية الصلح، علم أهل غريان أن الصلح ملغى، فهاجموا الطليان في قصر الحكومة في المدينة عام 1920، وأسروا منهم 70 جنديا إيطاليا. كما أغاروا

على سيارة البريد الإيطالي بالقواسم، وقطعوا خطوط الاتصال التي تربط العزيزية بمدينتهم. (12)

5- تعاطف أهل سوف مع ثوار غريان:

لقد ألهم الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر⁽¹³⁾ حماس المجاهدين بتقريظ قصيدة مؤثرة جدا، ولكن باسم مستعار يدعى محمد السوفي، اتقاء بطش الفرنسيين المتحالفين آنذاك مع الإيطاليين. وقد بعثها كاملة إلى سكان طرابلس، ولاسيما أهل غريان، يحثهم على التصدي ومجاهمة الطغاة المستبدين. وكان لهذه القصيدة صداها لدى الأوساط الشعبية، أثارت حميتهم وزادت في صمودهم، وهذا نصها:

يا ليت في غريان سمح الطلة
دورات تيري كامنات العلة

ونصير في زهات كيف العيد	لحزان تذهب والدرك يجلى
من الصغر ثاروا ملازمين الطاعة	يا ليت في غريان لي رباة
يقسوا العدو عن رفعة التقعيد	اليا جي العايط بيدرو فزاعة
من الصغر ثاروا للعدو فلاقة	يا ليت في غريان لي رفاة
كان الثمانيات صنعة سيدي	لا يرفعوا لوي لا بنداقاة
يصغوا كلامي يحضروا في نھاري	يا ليت في غريان ياتي صغاري
يحموا رجالي نوشة التصهيد	يصلوا العدو صمصام حرق النار
في المال يحمل والغنائم حائر	يا لندرا غريان باتش فايز
من غير توقيف ولا تحييد	بابور دولي بالمراكز جايز
وبات ضده في لهموم يلايم	يا لندرا غريان باتش نايم
فيه لباير هاربة بتبيد	يصبح بحرنا بالبرارط عايم
وبات ضده في لهموم يعاني	يا لندرا غريان باتش هاني
والمال يغدي وزايد التنكيد	بالموت والتجريح والغرقان
وبات ضده في لهموم يكالي	يا لندرا غريان باتش عالي

مخدول بين الناس كالزوالي
يا لندرا غريان باتش رايض
منكوب من سلطان ليهم غايظ
يا لندرا غريان باتش هادي
جاته جماعة اذلال من لوغاد
يا لندرا غريان باتش زاهي
وعدوه حازن في المصابي لاهي
يا لندرا غريان باتش شاره
من حرب زادت علحيش مكاره
يا لندرا غريان باتش طارب
ضاقت عليه اليوم كل مسارب
يا لندرا غريان فيكش ظني
تنصر علام الدين تغلب عني
يا لندرا غريان فيكش نعة
شجعان ما يولوش وقت الدغرة
نا ريت يا غريان تحمي ناسك
تمسى تناغي في السما بقنطاسك
نا نقول يا غريان كانت قومك
ما يترضوش اليوم يرخص سومك
نا نقول يا غريان ماكش واطي
بيدا رذيل الناس فيك يباطي
نوصيك يا غريان صد اشواره
واسقيه من كاس العذاب مراره
نوصيك يا غريان جيب مقابص
واهجم على الحيطان هد طرابس
نبيك يا غريان هذي وصاية

ما ينصراش رفيق بالتوديد
وبات ضده من الغلب يتفايض
قومه ينادوا بكلمة التوحيد
بعد الزعازع من طمع الأعادي
من رعبهم يقسوا على التسنيد
بافخار جات الناس بيه تباهي
واملام من لجناس بالتفنيد
وعدوه من لنكاد قلبه داره
جا حيهها مخلوع بالتهديد
بهلاك طايش كان فيه يحارب
دفع الخطايا وقله التعميد
فيكش مزايا اللي عليها نغني
تمسى سعيدا وصاحب التشييد
فيكش جماعة حازمة بالنغرة
يصلوا العدو ويشعله بلا تبريد
شقت جموع اللي ترموا عن ساسك
تقطع طمع من قال هم جهد ايدي
يذوبوا عليك ويزعفوا من شومك
غلب الدين وحكومة التشديد
حتى التسمع بالعيار الخاطي
ردف عليه الناس بمحميد
حصن عليه بالباب عند ازواره
واصل عليه الحب بالثغريد
واجمع القوم العاربة واللابس
تحوز الظفر من غير ما تكويد
راهي جميع الناس ليك مراية

يحصوا الفعاليل كاملة باشفاية هذاي نصحي ليك بالتوكيد⁽¹⁴⁾

6- موقف الشيخ الهاشمي الشريف من الثورة:

ونظرا لهذه العلاقة الجيدة التي ربطت بلاده بالجزائر، فقد أرسل مبعوثا إلى الشيخ الهاشمي⁽¹⁵⁾ بن إبراهيم الشريف⁽¹⁶⁾، طالبا منه التأييد المادي والمعنوي، أي الفاتحة والبركة الصوفية، زيادة على المساعدة العسكرية في حربه ضد الطليان عام 1915. علما أن الشيخ الهاشمي، كما تؤكد المراسلات، كان محبا جدا للخلافة العثمانية، ويرى أن بلاد سوف هي جزء لا يتجزأ من أرض الخلافة، وهذا ما يؤيد اتهام الفرنسيين للطرق الصوفية بمناصرتها لحركة الجامعة الإسلامية. وورد في إحدى المراسلات من الباروني إلى السيد سالم بن أحمد: " قد وصلني جوابك من غدامس...". وهذا هو جواب إلى "حضرة الشيخ الهاشمي في وادي سوف، بلغه إليه ليرسل إلينا جوابه سريعا، واطلب لنا منه الفاتحة." فما أهمية الجواب السريع المنتظر من الشيخ الهاشمي، الذي وصف في مكان آخر بأنه "صاحب النفوذ في تلك الجهات"⁽¹⁷⁾ ومن الواضح جدا أن إخوة الشيخ الهاشمي كانوا قد أسسوا زوايا وأضحوا مقدميها، فصار محمد الإمام في زاوية الرياح بالوادي، والحاج أحمد في الحمامات، والشيخ علي في رأس العين بولاية تبسة، ومحمد الطيب في الرويسات بولاية ورقلة. وأيضا محمد الكبير في نفطة، ومحمد الحسين في ثنية الأحد بقبلي، والشيخ محمد العربي في قفصة، ومحمد الأزهر في زاوية القصور قرب الدهماني بوسط الإيالة التونسية، بالإضافة إلى ليبيا. ولعل اتصالات أخرى قد تمت بين الباروني والإخوة الشيوخ الآخرين طلبا للمساعدة.⁽¹⁸⁾ والمهم من كل هذا، أن الشيخ الهاشمي توجه إلى مقر رئيس الدائرة العسكرية بتقرت المدعو قاسطون كوفي⁽¹⁹⁾ Gaston Cauvet بعد أن اتصل بمقدمه، الرجل الثري عمر حمروني⁽²⁰⁾ وعرض عليه الرسالة، وكان الاثنان قد اتفقا على إقحام الشيخ البشير،⁽²¹⁾ شيخ الطريقة التجانية بتماسين في القضية، وذلك بإرسال جواب باسمه لسليمان الباروني، بعد أن وضع عليه الشيخ الهاشمي ختما باسم الشيخ البشير، وبعث الرسالة ليلا إلى ليبيا بواسطة رجل من أولاد نائل مقيم بتقرت. وقد سبق وأن ذكرت أن الشيخ الهاشمي اتصل صباحا برئيس الدائرة

العسكرية، وعرض عليه الرسالة التي وصلته من الشيخ الباروني. ثم قال له: إن الشيخ البشير قد قبض رسالة أيضا وأجاب الباروني، فبعث الحاكم من يتعقب أثر الرسول ليعيده عندما يدركه. وعندما حضر المبعوث، وقرئت الرسالة في حضرته، قال الشيخ البشير: أن الختم خاتمي، والجواب ليس جوابي، ولم يكتنني الباروني ولا راسلته. فرد عليه الحاكم: أنت أنكرت ونحن نحقق في الأمر. وعندما قرئت الرسالة على أحد حكام الوادي السابقين الذي كان حاضرا، ولعله فورنييه (1911-1914) Fournier أخبرهم بأن هذا أسلوب الشيخ الهاشمي.⁽²²⁾

وفعلا، جهز الشيخ الهاشمي حملة عسكرية قوامها 350 مجاهدا على نفقته الخاصة، مدججين بالعتاد الحربي ليساعدوا إخوانهم المجاهدين الليبيين. ومن الرجال المشاركين فيها: ابن أخيه محمد الإمام،⁽²³⁾ الشيخ الأمين الشريف⁽²⁴⁾ على رأس الحملة، يرافقه خلدنم الزاوية القادرية وشاعرها الشهير الحاج سعد المياسي الوصيف،⁽²⁵⁾ بالإضافة إلى مجموعة من العسكريين السابقين في الجيش الفرنسي، ومنهم: محمد قدادرة المدعو حمة أبوكة من نزلة الوادي، والحاج علي بن عون النوبلي (1873-1967)، الساكن بحي أولاد أحمد بالوادي، ومسعود شركة من سيدي عبد الله بالوادي، وعبد الله قريشة، المدعو خروسة، من حي تكسبت بالوادي، والعربي غنبازي من الرياح، والعربي داود والأخضر داود من شعابنة الرياح، والظاهر داود، من شعابنة بوقفة بحاسي خليفة، ومعمر بن البشير دردوري من حاسي خليفة، وسالم بن علي الربيعي من قمار، والهادي بديدة من الرقية، والبشير بن الحاج عباس من ليزيرق.⁽²⁶⁾

7- تأسيس جمهورية طرابلس:

شارك الباروني في فترة الحرب الأولى لتحرير ليبيا (1911-1912) من الإيطاليين، إلى جانب كل من أنور باشا، والأمير علي بن الأمير عبد القادر، وشكيب أرسلان، ومصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) وغيرهم؛ ثم لجأ إلى تونس وإستانبول، ورجع عام 1915 واليا وقائدا للنضال بتأييد من ألمانيا والدولة العثمانية على أثر انضمام إيطاليا إلى جانب الحلفاء. وشكل الباروني مع أعيان

طرابلس هيئة قيادية، وهي التي سميت بمجلس الجمهورية الطرابلسية الذي ترأسه محمد سوف المحمودي،⁽²⁷⁾ وعين يحيى الباروني، أخو سليمان نائباً له.⁽²⁸⁾ وتتألف الجمهورية الطرابلسية من الجزء الغربي من ليبيا.

ومما لا ريب فيه، أن فكرة تكوين الجمهورية تبلورت عقب هزيمة دول المحور في الحرب العالمية الأولى، وتوقف الدعم التركي - الألماني للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي. واتضح الفكرة بكل جلاء في مدينة مصراتة على إثر اجتماع بين الشيخ سليمان باشا الباروني والمجاهد رمضان السويحلي. اجتمع عدد كبير من أعيان وزعماء المنطقة الغربية من البلاد في جامع المجاورة بمدينة مسلاتة، في يوم السبت 13 صفر 1337 هـ / 16 نوفمبر 1918، حيث تم في هذا الاجتماع التاريخي الإعلان عن قيام الجمهورية الطرابلسية، وقاموا بانتخاب أربعة أعضاء لمجلس الجمهورية الوليدة، هم: رمضان السويحلي، وسليمان الباروني، وأحمد المريض، وعبد النبي بن الخير، وتعد بذلك أول جمهورية في الوطن العربي⁽²⁹⁾

8- اعتزال الباروني السياسة ووفاته:

وبعد اعتراف إيطاليا المزيف بالحكومة الوطنية الليبية عام 1919، اعتزل الباروني العمل السياسي، ونفي من بلاد طرابلس في 22 ديسمبر سنة 1921، لما قاوم السياسة الانهزامية التي حاول بعض الليبيين اتباعها؛ فأقام زمناً في أوربا وفي الحجاز، ثم شخص إلى مسقط ضيفاً على السلطان سعيد بن تيمور. ومن هناك مضى إلى داخل عمان، ونزل في رحاب محمد عبد الله الخليلي، إمام الدولة الإباضية الصغيرة، التي ظلت قائمة إلى عهد قريب في الجبل الأخضر، وهناك منح لقب وزير، ووكّل إليه أمر إعادة تنظيم الدولة. ثم عاد إلى مسقط من بعد، حيث عين سنة 1938 مستشاراً للسلطان، ومنح سلطات واسعة، غير أن الموت عاجله في بومباي بالهند، وذلك حينما ذهب ليعالج من داء حمى الملاريا في 12 ربيع الأول سنة 1359هـ / 23 ماي عام 1940م.⁽³⁰⁾

الخاتمة:

مما سبق ذكره، يتضح لنا أن الشيخ سليمان الباروني كان بحق الطود الأشم، والفراس المغوار في الكفاح المسلح الذي كان يعتبره فرض عين على كل لبيبي ضد الاستعمار الإيطالي الغاشم. لهذا عكف جاهدا على رص الصفوف، وشحذ الهمم، ولو كلفه ذلك الذهاب بعيدا. إذ لم يتوان في مد يده لكل من يعتقد أنه قادرا على الوفاء بالتزاماته الدينية وتعهدهاته الأخوية تجاه أشقائه في النسب والدين. لقد راسل السلاطين والعلماء ورجال الطرق الصوفية ليعرف بقضية بلاده، وليحصل على المساعدات التي تمكنه من الصمود والتصدي للعدوان الظالم. وهكذا استطاع أن يظفر بالمساعدات العسكرية التي استجاب لها الشيخ الهاشمي الشريف على التو، فأمدته بجملة عسكرية قوامها حوالي 350 مجاهدا، لبوا نداء الواجب، واتجهوا زرافات ووحدانا نحو البلاد الليبية، بيد أن الظروف العويصة وبعد المسافة وقطع الفيافي القفار، وتعرض المتطوعين للأخطار لم يمكنهم من الوصول مبكرا، ورغم هذا قام الشيخ الهاشمي باقتفاء أثره وانتفض في ثورة عارمة على مقر الحاكم العسكري بسوف، النقيب بواز، (1914-1918) Boise Capitaine وذلك يوم 15/11-1918، وقد خلد عطر الذكر، شاعر الثورة الجزائرية الملهم، مفدي زكريا في إلباذته الشهيرة هذه الملحمة، حيث قال:

ويا وادي سوف العرين الأمين ومعقل أبطالنا الثائرين

ومأوى المناجيد من أرضنا وأرض عشيرتنا الأقرين

وربض المحامد أحرار غوما ومن حطموا الظلم والظالمين

ودرب السلاح لأوراسنا وقد ضاقت السبل بالسالكين

وضرغامها الهاشمي الشريف يذيق "بواز" العذاب المهين

وكم كان سوف لضم الصفوف وجمع الشتات الحريص الضمين⁽³¹⁾

المصادر والمراجع المعتمدة

1- فاضل السباعي وآخرون: سليمان الباروني(المعلم المقاتل) ص1؛ صالح ناصر: سليمان الباروني باشا (1290هـ/1873م - 1359هـ/1940م) ص 1.

2- تعرف بمدرسة البخاخجة أو مدرسة الباروني. أسسها سالم أبو الهول اليفرنى حوالي سنة 1798م، وقامت بدور تنويري كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتدریس العلوم الشرعية. وقد جدد بناؤها وافتتحت من جديد عام 1904 على يد الشيخ عبد الله الباروني ونحله سليمان.
انظر، د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 1999، ص49 - 50.

3- صالح ناصر: المرجع السابق ص1؛ أبو القاسم سعد الله: "سليمان الباروني، أضواء وملاحظات". الثقافة، العدد 110-111(الجزائر: سبتمبر - ديسمبر 1995) ص232.

4- أبو القاسم سعد الله: نفسه.

5- د. محمد عبد الكريم الوافي، الطريق إلى لوزان، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبييا، منشورات جامعة قار يونس، ط / 2، 1409 هـ - 1988 م، ص ص 209، 216.

6- فاضل السباعي وآخرون: المرجع السابق ص8-11.

7- محمد بن وسف بن عيسى أطفيش: ولد عام 1237هـ/1821م بغرداية، واشتهر بقطب الأمة. أبرز عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصر الحديث.

أسس ببني يسقن معهدا صار قبلة لطالبي العلم من داخل الوطن وخارجه، وألف الكثير من المصنفات في الفقه والتاريخ والنحو. تخرج على يديه الكثير من الطلاب. وتوفي بها يوم السبت 25 ربيع الثاني عام 1332هـ/1914م. (من وضع الباحث)

8- ولد ببلدة قمار بتراب سوف بصحراء الجزائر عام 1123هـ/1711م، وبعد أن حفظ القرآن، رحل الشيخ خليفة إلى خنقة سيدي ناجي بالزاب الشرقي (بسكرة)، حيث تعلم وعلم بها. ألف مجموعة من المدونات، أشهرها:

جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل، وهو كتاب يتكون من جزأين في الفقه المالكي يزيد عن ثمانية آلاف بيت. يتميز بجودة النظم ودقة التوصيف للمعلومات. وقد طبع بالمطبعة البارونية بمصر سنة 1899م.

وبعد هذا المشوار الطويل في ميدان التعليم والتأليف، توفي ودفن ببلدة قمار عام 1207هـ/1792م.

ارجع إلى الطاهر التليلي: إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن الأقماري. مخطوط بيد مصنفه عام 1944؛ عاشوري قمعون: الشقيقان. شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، بالوادي 2010 ص 20.

9- الطاهر التليلي: إتحاف القاري بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري، مخطوط بيد مصنفه عام 1944.

10- إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان: ولد بمدينة القرارة بولاية غرداية بالجزائر يوم 29 صفر 1306هـ الموافق 5 نوفمبر 1888م. حفظ القرآن الكريم، ثم أخذ في تعلم الفنون من عربية وشرعية على يد أستاذه الشيخ الحاج عمر بن يحيى. ثم سافر إلى مدينة بني يسجن ليكمل دراسته على قطب الأئمة الشيخ اطفيش الحاج محمد بن يوسف. وفي سنة 1912م، سافر إلى تونس

وواصل دراسته في جامع الزيتونة ثم الخلدونية. وفي سنة 1914م، ترأس أول بعثة علمية جزائرية إلى الخارج، وكانت وجهة البعثة إلى تونس. وفي سنة 1920م، كان عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري التونسي، وتربطه بزعيمة عبد العزيز الثعالبي صداقة شخصية. وفي سنة 1926م، أصدر أولى جرائده "وادي ميزاب" تحرر وتوَّع في الجزائر وتطبع في تونس، أصدر ثماني جرائد ما بين 1926 و1938م. وفي سنة 1931م، أسَّس المطبعة العربية، وهو أول رجل جزائري يؤسِّس مطبعة وطنية حديثة في الجزائر. له مؤلفات عديدة. توفي في القرارة يوم الجمعة 29 صفر 1393هـ/ 30 مارس 1973م. (من وضع الباحث)

11- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص 237-238.

12- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

13- الشيخ إبراهيم بن عامر، شيخ جليل، ولد بالوادي عام 1875م. واشتهر بعد تخرجه من جامع الزيتونة بعلو كعبه في ميدان الشريعة والعربية. تطوع لتعليم الشباب والشيخوخ. وله مصنفات عديدة في أغراض مختلفة. تولى منصب باش عدل في بلدة كوينين، ثم في مدينة الوادي. توفي يوم الأربعاء 20 جويلية 1932م، ودفن بجبانة أولاد أحمد في اليوم الموالي.

ارجع إلى عاشوري قمعون: الشيخان. مطبعة مزوار، بالوادي، 2010 ص38.

14- إبراهيم بن عامر: الصروف في تاريخ سوف. ج2. مخطوط بيد كاتبه أحمد بن عبد الباقي مفتاح يوم 29 جوان 1970، ورقة 50-51.

15- هو الشيخ الهاشمي بن الشيخ إبراهيم، ولد بنفطة عام 1853م. أسس زاوية البياضة حوالي عام 1304هـ/1886م، ووصل نفوذ الطريقة القادرية في عهده حتى توات وتيميمون وغات وغدامس. كان الشيخ ذكيا جدا وسخيا جدا، يحترم أهل العلم. توفي بالوادي في 23-9-1923م، ودفن بزوايته بالبياضة.

ارجع إلى عاشوري قمعون: المرجع السابق ص111.

16- هو الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف. أصله من قبيلة البوازيد العربية الهلالية المنتشرة بين فوغالة وطولقة. ولد بنفطة عام 1229هـ/1813م. تتلمذ على الشيخ أبي بكر بن أحمد الشريف، شيخ زاوية توزر. ثم قام بتشييد زاوية برأس العين بنفطة عام 1251هـ/1835م، انتشر صيتها عبر ربوع الوطن الجزائري والتونسي. كما أسس زاوية حوالي عام 1850م، بحي سيدي علي دربال جنوب بلدة الرياح، عين على رأسها الشيخ علي بن قديري لإمامة المصلين وتعليم الصبيان القرآن الكريم والفقه. وشيد مدرسة بالمنعة بولاية باتنة عام 1280هـ/1863م، أسند إدارتها إلى عائلة بلعباس. توفي عام 1292هـ/1875م، ودفن بزوايته بنفطة.

ارجع إلى عاشوري قمعون: الشيخان. مطبعة مزوار الوادي، 2010 ص58.

17- زعيمة سليمان الباروني: صفحات خالدة من الجهاد، للمجاهد الليبي سليمان الباروني، 1964، مطابع الاستقلال الكبرى، ص 133-184؛ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص241.

18- عاشوري قمعون: "دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية". مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، (الجزائر: جوان 2006) ص 74-75.

19- كان رئيس الدائرة العسكرية وقتذاك، يسمى الرائد كوفي (1860-1950م) Cauvet Gaston Commandant ولد في مدينة دواي Douai بفرنسا عام 1860، ثم انخرط في الجيش الفرنسي، وتولى الحكم بالوادي ما بين عامي 1900 و 1902. ثم ترأس دائوة تقرت العسكرية يوم 21 أكتوبر 1914 حتى 31 جانفي 1919. له مجموعة كبيرة من المؤلفات، منها مدونات حول سوف والسوافة، Notes sur le Souf et les

Souafa وما يتعلق بالصحراء الجزائرية. توفي يوم 24 مارس 1950 ببيير مراد راييس بالجزائر، ودفن هناك.

انظر عبد الحميد بنجاح: منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال. منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، مطبعة الآمال للطباعة بالوادي 2003 ص 199.

20- هو عمر بن علي بن محمد بن الساسي بن عون بن صالح الحمروني، من أولاد عيسى، وهم أكبر بطون الوادي المنتمين إلى عرش أولاد خليفة بالأعشاش. عاش يتيما، حيث تركه والده صغيرا. ولد بالوادي خلال عام 1888م، وله أخوان وأخت: صالح وبالقاسم (1894-1960) وهنية. وكان يقيم بتقرت. تزوج وأنجب ثمانية ذكور وأربع إناث. عينه الشيخ الهاشمي مقدما، وكان صاحب أموال طائلة، ونخيل كثيرة في تقرت ووزيتن بالوادي. وقد كون هذه الشروة الكبيرة بنفسه، ولم يرثها عن والده. نزل عنده الشيخ الهاشمي ضيفا، عندما استدعاه لتقرت الحاكم العسكري، الرائد كوفي قاسطون. كما استدعى معه قائد المصاعبة محمد الصغير منماني، العائد من أداء فريضة الحج، في مكتب الحاكم العسكري، فلامه منماني على انتفاضته التي قام بها عام 1918، وقال له: فعلتها، وتسببت في مجيء السنغال لبلادي! يتضح من هذا أن الشيخ سبق له أن تحدث مع القائد منماني في هذا الشأن. توفي عمر حمروني يوم السبت غرة ربيع الثاني سنة 1379 هـ/ 3 أكتوبر عام 1959م بعمالة وهران، وحمل جوا ليدفن بمقبرة سيدي يوسف بالوادي.

انظر شهادة الميلاد رقم 1280 المؤرخة يوم 07-11-2009؛ لقاء مع عبد الله حمروني، ابن أخ عمر وصهره، يوم السبت 04 ديسمبر 2010؛ مصطفى سالمي: المرجع السابق ص 24.

21- الشيخ البشير الأول بن محمد حمّة، ولد بتماسين عام 1861، وتولى مشيخة الطريقة التجانية عقب وفاة والده يوم 1912/12/16. توفي ودفن بتماسين يوم 1918/8/05. انظر: La Zaouia Tijaniya de Témacine, modernité et Continuité, Kouinine, El-Oued, 2008, P.14.

22- كان القايد الحسين زيبيدي حاضرا أثناء تلاوة الرسالة على الشيخ البشير بتقرت، وقد روى الحادثة هو شخصيا للشيخ أحمد خراز.

23- هو الشيخ محمد الإمام بن الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عطية الشريف، شيخ الطريقة القادرية بنفطة. ولد خلال عام 1864م بنفطة، وأمّه فاطمة من بلدة تامغزة بتونس. نشأ في رحاب والده، فقرأ القرآن، ودرس العلوم، ولما بلغ 24 عاما، قدم إلى الوادي عام 1884، وأسس زاوية بالرياح .

كان من الرجال الصالحين، وكان يرفض رؤية الفرنسيين، ويمتنع عن مقابلتهم. ومن أهم أعماله في الزاوية: الحث على حفظ القرآن وفعل الخير، وحث أهل الجهة على التعاون وإقامة العرس الجماعي. توفي ليلة القدر عام 1322هـ/ 1904-12-04م، ودفن بزوايته.

ارجع إلى عاشوري قمعون: المرجع السابق ص 111.

24- هو الشيخ الأمين بن محمد الإمام الشريف، شيخ الطريقة القادرية بالرياح. ولد خلال عام 1890، وحفظ القرآن الكريم على يد الحاج أحمد عسيلة. حج عام 1929م، وكان على خلاف كبير مع ابن عمه الشيخ عبد العزيز في موقفهما من الثورة. قتل على يد رجال الثورة الجزائرية في أكتوبر عام 1955م، في خنقة تامغزة بالجنوب التونسي، بحجة الدعاية ضد الثورة، ودفن بجوار جده

الشيخ إبراهيم، بزواوية نفطة القادرية.

انظر عاشوري قمعون: المرجع السابق ص94.

25- الحاج سعد عتيق زيد: ولد سعد بن نصر عتيق بالرياح خلال عام

1896م. وهو من أصل إفريقي زنجي. كان يعمل راعيا لدى الحاج الأمين

الشريف، وكان شاعرا كبيرا للطريقة القادرية. قال شعرا عند مقتل الحاج لأمين:

المايسة تبكي على باباها الحق ليها والصواب معاها

توفي بالوادي عام 1982 ودفن بالرياح.

انظر أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف ج2 ص100.

26- لقاء مع علي بن بكار الحاقة يوم الأربعاء 02-5-2012 بزواوية سيدي

سالم بالوادي على الساعة 11 صباحا.

27- محمد سوف المحمودي: ابن الحاج محمد اللافي المحمودي، وحفيد الشيخ

غومة المحمودي، من قبيلة الحاميد المشهورة في طرابلس الغرب، ونسبه في صميم

العرب من بني سليم .

ولد في عميش بوادي سوف بأرض الجزائر سنة 1857م، وترى في بيت

العز والفروسية والكرم. فكان عزيز الجانب، فارساً مغواراً، شجاعاً كريماً إلى أبعد

حدود الشجاعة والكرم. عرفته البيداء والخيل، وألفته معا مع الحروب وميادين

القتال، فكانت له فيها جولات حفظها له التاريخ في صحائف من عرفوا من

العرب بالبطولة. عينته السلطات العثمانية عام 1882 قائمقاماً في منطقة

الحوض. وحارب الطليان في غير هوادة من سنة 1911 إلى سنة 1923، حيث

تغلب الطليان، فهاجر إلى مصر. توفي بقرية المتراس بالإسكندرية في

1930/7/15. (من وضع الباحث).

28- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص232-233.

- 29- مصطفى علي هويدي، الجمهورية الطرابلسية جمهورية العرب الأولى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط/1، 2000، ص 79-80 ؛ محمد محمد الطوير، معارك الزاوية، ص 56-57.
- 30- فاضل السباعي وآخرون: المرجع السابق ص 54، 56، 68.
- 31- مفدي زكريا: إلياذة الجزائر. مطبعة المؤسسة للكتاب، الطبعة الثانية، الجزائر 1992، ص 76.